

الحضارة- في مفهومنا العام- هي ثمرة كل جهديقوم به الإنسان لتحسب ظروف حياتهQ سواء أكاناجملهوا <بذول للوصول إلى تلك الثمرة مقصوداًأم غير مقصودQ وسواء أكانت الثمرة مادية أموهذا <فهوالم الحضارة مرتبط بأشد الارتباطبالتاريخQ لأن التاريخ كما سنرى هو الزمنQ والثمراتالحضارية التي ذكرناها تحتاج إلى زمن لكي تطلعQأي أنها جزء من التاريخQ أو نتاج جانبي للتاريخQوكما أن ثمر الزروع والأشجار لا يطلع إلا بفعلالزمنQ إذ لا تكن أن تزرع وتحصد ثمرة ما فينفس الوقتQ فإن ثمار الحضارة لا تظهر إلا بإضافةولا تتبأ القيمة الحقيقية لأي ثمرة حضاريةإلا إذا جربها الإنسان في الاستعمال مرة بعد أخرىQأيضا يحتاج إلى وقت أي زمن وتاريخQ ولا بد كذلكأن يتكاثر صنع الشيء ويتراكمQ حتى يكون له أثر في حياة الإنسانQ ويصبح جزءا من هذه الحياةQفإذا وفق إنسان إلى صنع قوس واحدة ورمى بهاوالحرب فأهملهاQ لم تكن لها قيمة حضارية. ومن <وكد عند العلماء أن كلاكتشاف من الاكتشافات <بكرة التي كونت الخطوات الأولى في <سيرةالحضاريةQ اكتشفت وأهملت أو نسيت أكثر من مرة في نفس الجماعةQحتى اتضحت قيمتها العملية فعمل الناس على الإكثار منها واستعمالهاQومع الإكثار تحسن نوعها وزادت كمياتها.وأصبحت أداة من أدوات الحياة اليوميةQ وهذا هو ما يسمى بالقيمة التراكميةcumulative value وهذا أيضا يحتاج إلى زمن وتاريخ.وعندما وجدنا رغيقان الخبز في مقابر الفراعنة عرفنا أن وراء هذا لأقراص تاريخا طويلاQ وعندما درسنا أحوال اجملتمعات البدائية الباقيةإلى اليومQ عرفنا صفحات طويلة من ذلك التاريخQ فمن هذه القبائل مايعرف القيمة الغذائية لسنابل القمح التي توجد برية بـa الحشائشQ فبأخذونالقمح من السنابل ويأكلونه كما هوQ ومنها من يجمع أفرادها هذه السنابلحصداQ ومنها قبائل تزرع القمح وتحصده وتأكله حباQ ومنها قبائل تجرشهقبل أن تأكلهQ وهناك قبائل تطحنه وتأكله دقيقا أو تذيبه في <اءQ وهكذاحتى نصل إلى القبائل التي تصنع الخبزQ وإذا كان عمر الإنسان على وجهالأرض يرجع إلى ثلاثمائة ألف سنة على أقرب الآراء إلى الصحةQ فإن لكل من هذه القبائل مكانها على هذا الطريق أو التاريخ الطويل الذي يحكيهرغيف الخبز الذي وجدناه في مقابر الفراعنة.وهنا- ومرة أخرى- تتجلى لنا الصلة بـa الحضارة والتاريخQ ولنذهب معهذا <ثل الواحد خطوة أخرق فنقول: إن صنع الخبز لم يتيسر إلا بأدواتمن مواعـa وآنية وأحجار طحنQ وعلم يتمثل في خلط الدقيق باء وعجنهوحسن استخدام للنار في هذا <طلبQ وهذه كلها احتاجت إلى أزمانمتطاولة حتى <كن الناس من جمعها واستخدامها معا لصناعة شيء واحدفالحضارة والتاريخ- على هذا- مرتبطان أحدهما بالآخر أشد الارتباطQولا يستطيع الإنسان أن يتحدث عن الحضارة حديثا معقولا إلا إذا عرفماهيـ التاريخ معرفة معقولة أيضا. ولا معنى لأن نشير هنا إلى ما ذهبإليه بعض قدماء <فكرين ومنهم أبو محمد علي بن أحمد بن حزمQ الذيأيد هذا الرأي في كتابه <سمى «مراتب العلوم» من أن الله سبحانه وتعالى.د أوحى إلى الإنسان الحرف والصنائع كلها وحياءQ فأوحى إلى أول نجار كما أوحى سبحانه إلى النحل كيف تبني خلاياهاQ يقول ابن حزم: «وكيف يتأتى للنحلأن يصنع خليته إلا بإلهام من الله تعالى?» نقول ونرد على هذا القول: بأنهذا أسهل وسطحي في تفسير ظاهرة الحضارةQ وقد غاب عن ابن حزم أن ولهذافإن النحل يصنع خلاياه على هذا النحو من عشرات الألوف من السنـa وسيظل يصنعها على هذه الوتيرة إلى أن يطوي الله الأرض وما عليهاQ أماالإنسان فله غرائزه أيضا التي يحافظ بها على بقائه وبقاء نوعهQ وبالعرائزوحدها يظل الإنسان على هيئته التي فطره الله عليها أبد الدهرQ أماقدمه وتحسن أحواله فيرجع إلى مواهب أخرى أعطاه الله إياها أولهاالعقلQ وهذا العقل هو الذي اختزن <علومات ولاحظ الأشياء وتأملهاQ